مديح لمرايا البلاد

القدس:٢٣-٢-٢٠١٢ استضافت الندوة **الأديب الكبير محمود شقير**، حيث ناقشت إصداره الأخير"**مديح لمرايا البلاد**"الصادر عن **منشورات دار الجندي** في أواخر كانون الثاني –يناير-٢٠١٢، ويقع الكتاب في ٣٢٨ صفحة من الحجم المتوسط.

بدأ النقاش **جميل السلحوت** فقال:

هذا الكتاب عبارة عن يوميات في الأعوام ١٩٩٦، ١٩٩٧، و١٩٩٩عاشها أديبنا وسجلها، فما الجديد في هذا الكتاب الذي جاءنا به محمود شقير الذي عرفناه قاصا مبدعا وكاتبا سرديا متميزا؟ ويحضرني هنا تعريف للأدب يقول"إن الأدب هو ذاك الكلام المنمق الجميل الذي إذا قرأه الجاهل ظنّ أنه يحسن مثله" ومحمود شقير هنا قدم لنا أدبا جميلا ومباشرا، لا يحتمل الرمزية، وإن كان يحمل ما بين السطور والكلمات معاني ودلالات ذات مغزى. ولا أعلم لماذا –وأنا أقرأ هذا الكتاب- ألحّت عليّ مقولة الشاعر أبي نواس التي قال فيها"والله لو أردت أن لا أتكلم إلا شعرا لفعلت"ويبدو أن يوميات محمود شقير قد أوحت لي بأن أديبنا يكتب أدبا حتى في الأمور العادية التي

نعرفها جميعنا، لكن أحدا منا لم يكتب فيها بهذه الجمالية، وهذا هو الأدب الجميل، وأستذكر هنا أديبنا عندما كتب مقالات صحفية سياسية، فقد كتب أدبا سياسيا.

لكن محمود شقير الذي تحمل يومياته شيئا من مذكراته، وشيئا من سيرته الذاتية، لم يكتب لنا عن بطولات ومفاخر، ولم يكذب كما فعل بعض كتاب السيرة، وكتب لنا عن الإنسان في شخصية محمود شقير، كتب لنا عن الإنسان العادي في شخصيته مع أنه إنسان استثنائي، كتب لنا عن محمود شقير ابن القرية الذي يعيش حياته بهدوء كبقية أبناء بلدته، فهو مثلا يشارك في قطف ثمار الزيتون مع أفراد أسرته، ويشارك في تقليم الأشجار أيضا، وهو يشارك في التزامات اجتماعية مع عدم إيمانه بها، بل ومقته لها، كتب لنا عن الابن البار بوالديه، فهو يجالسهم ويسعد بهم كما يسعدون به، وكتب لنا عن محمود الأب والجد الذي يحزن ويتألم بصمت على الحالة المرضية التي تعاني منها ابنته"أمينة" والتي أسماها على اسم شقيقته

"أمينة" التي رحلت وهي في ريعان الشباب، فهل الحياة سلبت الأمن والأمان عن "أمينتي" أديبنا لتتركه نهبا للمعاناة؟ وعن محمود الحفيد الذي يعاني هو الآخر من حالة مرضية، أورثت أديبنا همّا وألَما متواصلين، وكتب لنا عن فرحته الغامرة بولادة حفيد آخر له في ١٥-٣ وهو نفس يوم ولادة أديبنا.

لكن من جهة أخرى، فإن محمود شقير الأديب لا يستطيع إخفاء موهبته الأدبية، ليس في أسلوب الكتابة فحسب، بل في نشاطاته ومسلكياته، وليس أدلّ على ذلك من الحوارية التي دارت بينه وبين الشاعر الكبير الراحل محمود درويش، والتي ثبتها على الغلاف الأخير لكتابه هذا، وهو يكتب عن لقاءات جمعته وكتاب آخرين، وبعضهم كانوا من طلابه في المرحلة الثانوية أثناء ممارسته لمهنة التدريس، ويستذكر لقاءات جمعته مع فنانين شاركوا في تمثيل المسلسلات التلفزيونية والمسرحيات التي كتبها، وهو يكتب عن لقاءات جمعته في لقاءات ومؤتمرات شارك فيها في الوطن وفي الخارج، ويكتب عن أفلام سينمائية شاهدها، ليس من باب نقل خبر فقط، بل يذكر بشكل خاطف تعليقه على ذلك الفلم.ويكتب لنا عن محاولاته ممارسة النحت على الحجارة بتحريض من أحد الكتاب الذي يمارس النحت، ويخبرنا بأنه لم يستطع القيام بهذا الفعل، لكن له محاولاته في رسم اللوحات التشكيلية أيضا.
ولا يغيب عن كاتبنا في يومياته ذكرياته عن أيام مضت مثل عمله في مجلة قضايا السلم والاشتراكية في براغ، وتنقلاته في بلدان أخرى.
يبقى أن نقول أن جديد شقير هذا جديد فعلا في الشكل والمضمون، وهو جديد يستحق القراءة.
وقال **إبراهيم جوهر**:

مرايا العمر المتفلّت

في يومياته التي ضمّنها كتابه الأخير يكشف الكاتب المبدع محمود شقير برنامجه اليومي، ويكشف القارئ من وراء هذا البرنامج ذاته شخصية الكاتب، همومه، وطموحاته، ومشاغله، وانتقاده لذاته وللآخرين ممن يتعامل معهم، في البيت وفي الوزارة وفي الواقع الميداني.

نقف في يوميات محمود شقير على أنماط من الناس، والعلاقات، والأحلام، والمآخذ.

على الحزن الخفي، أو الصريح. وعلى بعض من ذكريات الطفولة والمراهقة.

على المشروع الأدبي الإبداعي للكاتب. وعلى كيفية التوفيق بين الخاص والعام.

على لغة بسيطة لم تقصد أن تقدم ذاتها بإبهار وتعال فجاءت أليفة وهي تكشف ببساطتها نفسية قلقة، متشكية، صابرة. ونفسية خلوقة متواضعة وموضوعية تبتعد عن الأنا ولا تزاحم الآخرين. هي شخصية الكاتب نفسه.

تحدى الكاتب بالكتابة ثم الكتابة والمطالعة ومراجعة ما قرأه في صباه هموم الحياة، وإفرازات الواقع المحبط ليواصل مشروعه الثقافي الذي ينبني كما يبني النمل مملكته، ويواصل عمله بلا أدنى تقاعس.

لذا وجدناه يكرر في أكثر من (يومية) في يومياته الممتدة على طول ثلاث سنوات شعوره بعدم الرضى عن ذاته التي

لم تمكّنه من القراءة أحيانا، أو من الكتابة أحيانا أخرى.
وفي كل المواقف المنقولة نجده ناقدا لنفسه؛ وهو الكاتب نفسه الذي مارس عملية النقد الذاتي لذاته، واختياراته، وكتاباته. نجده يبدي عدم رضاه عما كتب، ويشير إلى ضرورة مراجعة ما يكتبه ليخرج في حلة بهيجة مقنعة.
كما نجده ينتقد إقدامه على الموافقة على الترشح للانتخابات التشريعية، أو الموافقة على عضوية اللجنة المركزية للحزب الذي ينتمي إليه.
وينتقد مسلكيات بعض المثقفين، وأنانيتهم، وتزاحمهم على الظهور.
والكاتب يظهر موضوعيته وحياديته الإيجابية حين يشير إلى دوره في لجنة الجوائز، وكيف أنه (سرّب) شرطا إلى لائحة لجنة الجوائز بقصد إقصاء ذاته عن القرار، ولكن هذا كله لم يشفع له فنال (غضب) بعض زملائه في وزارة الثقافة!!
محمود شقير في كتابه الجديد (مديح لمرايا البلاد) وهو يقدم يومياته المزدحمة إنما يقدم ذاته؛ رؤاه، وأحكامه، ومواقفه من الحياة والناس والثقافة والأدب. ولكنه لا ينسى همومه الذاتية الإنسانية الطبيعية التي ترقب الحياة وهي تمضي مسرعة إلى نهايتها المحتومة؛ الموت.

والموت يأخذ حيزا ليس قليلا من اهتمام الكاتب. وربما أراد

مواجهة الموت الجسدي بالإصرار على الحياة في الأدب وبالأدب؛ لذا وجدنا هذا الدأب على الكتابة والقراءة؛ على الفعل الذي هو ضد السكون والقعود والانتظار. ولكن هذا كله لا يمنع الكاتب من إظهار هواجسه من تلك النهاية؛ الموت . فهو يستذكر أقاربه الذين توفوا، ويستذكر والديه. وحين يقف على مشارف القرن الجديد نراه يهجس بمن سيموتون.

ولكن التاريخ الأدبي يعلمنا بأن المبدعين الحقيقيين لا يموتون لأنهم خالدون مستمرون بإبداعهم، وجماليتهم الأدبية المستمرة. هكذا كان الأمر منذ امرئ القيس مرورا بالمتنبي وكل المبدعين بينهما إلى غسان كنفاني ومحمود درويش وما بينهما ومعهما من الذين أبدعوا جمالا للحياة.

وقال **عز الدين السعد:**

كانت صدمتي عندما التقيت يوميات في "يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم وكنت تلميذا في أواخر الإعدادية لثقل ظلها عليّ، ولصعوبة تحمل شخصياتها وتهالكي في فهم وإدراك معاني الكلام وطفقت بعد وقت طويل اكتب لي أحيانا، وأتوقف حينا آخر راصدا لوقت ما صياغتها أو العودة إليها عندما يلتاع حنيني لشخوص وأحداث مضت، إلى أن دفعنا الشاعر حنا أبو حنا مدير الكلية الأرثوذكسية في حيفا في أواخر سبعينيات القرن العشرين لقراءة يوميات فلسطينية بالتورية "مذكرات دجاجة" للكاتب الفلسطيني

المقدسي الكبير الراحل اسحق موسى الحسيني، أما مديح لمرايا البلاد فتعكس لك الصور صريحة ناصع، ففيها ما يحملك إلى طياتها منسابا بين حوادث أيامها بلا مقدمات، كما بادرنا الكاتب محمود شقير منذ الرابع عشر من نيسان عام ١٩٩٦ وحتى أخر يوم في القرن العشرين قاطعا وعدا بتتابعها بعد ذلك في جزء قادم ، تحت مظلتين الأولى مقولة محمود درويش " نحن لا نطلب من مرآتنا غير ما يشبهنا " (ص٥) وما أوحى له بكتابة هذه اليوميات بقوله " انتهيت من قراءة مذكرات خليل السكاكيني " كذا أنا يا دنيا" وهي التي أوحت إليّ بالشروع في كتابة هذه اليوميات "ص١٥ يحملنا التسلسل الزمني بمتعة يوما بعد يوم، وأحيانا ابعد قليلا في مرايا مع أبطال ثابتين كالحفيد محمود والزوجة والابنة، وحالة القراءة التي تلازم اليوميات بعدد ساعاتها أو صفحات كتاب ما أو عدم القراءة من مكتبة غنية تمنحك أسماء مؤلفين ومؤلفات وشخوص، تلاقيهم في الأجندة تمر بهم فيستوقفونك، فيها تصوير مرجعي لحقبة فلسطينية متلاحقة الأحداث متراصة الوقائع، تحيرك عمّ تتحدث وممّ تنهل من هذا الكمّ الهائل من الأحداث، منذ اللحظة الأولى التي تأتي ثلاث سنوات بعد عودة الكاتب إلى فلسطين في ال٣٠من نيسان اثر غياب قسري بسبب إبعاد سلطات الاحتلال الإسرائيلي له مدة ثماني عشرة سنة في المنفى بعد عشرة أشهر في السجن (ص٢٢) .... تجدك في

السفر الممتع بين القدس ورام الله بين زوايا قمة الحدث الثقافي والسياسي، ومتعة تقليم الشجر في جبل المكبر، والحديث مع الوالدين، ثم فجأة تمر على مدن الوطن كأنك عصفور يطير في الناصرة وحيفا بلا حدود، وعودة إلى مكوكية الساعة والحركة بين مدينتين ومتاعب الوظيفة في وزارة الثقافة الفلسطينية، مصطلحات مستحدثة في الواقع الفلسطيني يستوقفك حدثان هامان مفصليان هما: توقف صحيفة الطليعة المقدسية عن الصدور وإخلاء مكاتبها في الشيخ جراح، حيث أوكلت إليه مهمة رئاسة تحريرها منذ ١٩٩٤ حتى اللحظة(ص١٠) أما الحدث الثاني فجاء عن تنازله عن العضوية في المجلس الوطني الفلسطيني بعد فترة ٩ سنوات "لم أشعر بأن لي ولكثيرين غيري أي دور يذكر في هذا المجلس، فلماذا أحتفظ بعضويته ؟ قد يبدو هذا الاستنكاف مستغربا في زمن التشبث بالمواقع والرغبة في الظهور، إنما هذا ما وقع، وأنا الآن مقتنع بما فعلت " ص ١٣-تتابع مصطلحات تلازم الحقبة سلام بالعافية ومسرحية من قلمه ديمقراطي بالعافية ص٦٣ واحداث : مات إميل حبيبي في الناصرة ٢-٥ (ص٢٥) وعاد محمود درويش إلى رام الله (ص٢٦) محمود درويش في وزارة الثقافة بعد يومين٧-٥ (ص ٣١) ١٢-٥ زرت حيفا بعد هزيمة١٩٦٧ مرة واحدة وزرتها مرة بعد عودتي من المنفى، ولم أنم فيها من قبل (ص ٣٦) ١٣-٥ في

فندق دان بنوراما في حيفا عروس البحر(نام فيها)، كان صباحا مدهشا ومفاجئا . أزحت الستارة ونظرت نحو المدى الممتد ورأيت المدينة والبحر وامتلأت نفسي بالمشاعر والرؤى، ولم استرسل في التصورات، كنت استرسلت فيها الليلة الماضية، فلماذا التكرار؟ (ص ٣٧) .....١٥-٥ اليوم ذكرى النكبة الفلسطينية. قبل يومين، كنت في حيفا وتذكرت ما تعرضت له المدينة في زمن سابق(ص٣٨) .في الثالث من أيار دفن إميل حبيبي فيها، وكان أوصى أن يكتب على قبره " باق في حيفا " حيث "ألقى محمود درويش كلمة في وداع صاحب "المتشائل"" (ص٢٧) لحيفا رونق خاص جدا في أدبياتنا الفلسطينية منذ (عائد إلى حيفا رائعة غسان كنفاني، ولبيروت وجهان وجه لحيفا في حوارية شقيّ البرتقالة سميح القاسم ومحمود درويش) والكاتب يذكر في ص١٢٤ عن نفسه انه" كان سيلتقي محمود درويش في العام ١٩٦٨ في حيفا، ولم يتحقق اللقاء بسبب صدفة غير متوقعة . التقينا في ١٩٧٥ في بيروت عندما وصلتها مبعدا من سجن بيت ليد "كفار يونا" ، يوميات تؤرخ لمرحلة بلا حدود تنقل حر، حر ورمزية في قراءة الآخر كيف يرى الفلسطيني " سأقرأ رواية العاشق ل أ.ب. يهوشواع في ذكرى هزيمة ١٩٦٧.ص " ٦٤.
تحمل لك مديح لمرايا البلاد باقة من الأسماء التي كانت باتت... ظلت كواكب متوهجة، هناك فوق كل شيء رجال

ونساء من لحم ودم، يمشون في أسواق رام الله ويبيتون فيها وينشدون ويأكلون ويشربون شغلهم الشاغل الثقافة والمسرح والأدب والوطن، حركة دائبة سائرة محمود درويش، يحيى يخلف، ليانة بدر، فدوى طوقان، بشير البرغوثي، مريد البرغوثي، أكرم هنيه، سليمان النجاب وآخرون كثر في اليوميات أحياء وبعد اليوميات كان عدد منهم قد غادر الساح جسدا، لا إرثا تتفقد الثلة فلا محمود درويش ولا فدوى طوقان ولا إميل حبيبي ولا طه محمد علي .. يوميات تذكرك بما مضى ... وانه مضى، ومضات عبرات على عتبات الزمن، ولكن ما يثريك ويثيرك حقيقة واقع حدث "هاتفت اليوم محمود درويش الذي عاد لرام الله (من سفر)....سلمت محمود هدية كان احضرها له الشاعر طه محمد علي لمناسبة خروجه من المستشفى، فلما لم يجده سلمها لي إلى حين حضوره إلى رام الله "تعيش في أحداث حلم التحرير الفلسطيني الاستقلال، لجنة فلسطين جوائز فلسطين في الآداب والفنون والعلوم ، "دفاتر ثقافية " و"صوت الوطن" ص٢٤٨ التنقل الحر بين كل أجزاء الوطن ... وقد يداهمك حاجز في اليوميات لكنك تتنقل بحرية...

وتقرأ ما يقرأ كاتبنا "الأوديسة" لهوميروس و"عوليس" المستندة إليها رواية جيمس جويس ص٢٦٣ رمزيتان كلاهما لمسارات العودة الفلسطينية ... أما محمود الحفيد

فله حصة كبرى نسير معه في مراحل نموه ونطقه وسقوطه في حوض الزهور عن سطح البيت، وتطور إدراكه يبدأ بالكتابة أحرفا وأرقاما، يكبر محمود الكاتب ومحمود الحفيد ومحمود درويش الذي يلازم الأيام من سفر فعودة فلقاء فحديث فكتابة ونشر وقراءة، والسباق مع الزمن للقراءة "كتب كثيرة ما زالت تنتظرني دون أن أتمكن من قراءتها!

"ص ٢٩٠ ... وصوت محمود الحفيد يلعلع في البيت ص٣١٩ بعد كل الخوف، انه ربما لن يتحدث لكنه انطلق ثم التفكر يأتي يوم الجمعة ٣١-١٢ آخر أيام القرن العشرين مع خلاصة مثيرة لتذكر من عاشوا ومتى ومأساة الشعب الفلسطيني التي ما زالت دون حل ...وماذا سيحدث لاحقا؟

"هذا المساء قلت : قد أعيش أنا حتى العام ٢٠١٠ " هذا المساء تأملت ما قد يكون عليه القرن الجديد ...قد ...قد ...قد يزدهر الفن والأدب ... خلال القرن الجديد لا بد أن يحصل الشعب الفلسطيني على حقه في الحرية والعودة وتقرير المصير والاستقلال ..... " وفق الكاتب أمد الله في عمره في وضعنا أمام المرحلة التي فتحت باب الحلم على مصراعيه لبنة لبنة، بنى لنا الأحداث وضعنا أمامها ووضعها أمامنا هو وفق بما أراد .... أنا لم افلح باستيعاب ما حدث حتى اللحظة تراوح الأيام أمام ناظري ... أقرأها يوما يوما، وأعاود الكرة فأقراها بتسلسلها التاريخي ثم انتقي

منها فاقرأ وأقرأ فأجدني بعد غير مصدق ولما أحط بما جرى ... هي يوميات تعكس ما فينا لا ما جرى فقط وتحمل ما حدث لأجيال تأتي لتعرف عما جرى لأنك صدقت الكاتب المبدع حين اقتبست ابن حزم الأندلسي " وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له " لوطنه ووالديه وزوجه وأولاده وأحفاده والخل الوفيّ.....